ترسيخ قيم الإيثار والصدق والموضوعية في علمي الرواية والدراية

إعداد الدكتور:

أحمد محمد حسين جودة

مدرس الحديث الشريف وعلومه

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة

الملخـــص

تتناول هذه الدراسة تأصيل السنة النبوية لقيم الإيثار والصدق والموضوعية قولًا وعملًا، وبيان كيف جاءت كثير من مباحث الدراية متناغمة مع جانب الرواية ومرسخة لهذه القيم في قبول الأحاديث وتوثيقها وجعلها من آداب البحث في هذا العلم وشرطًا لقبول الرواة وبالتالي قبول رواياتهم وأحكامهم ومزية لهذا العلم شهد بها العدو والصديق.

ويتجه البحث لدراسة قيم الإيثار والصدق والموضوعية في علم الرواية، والأثر التطبيقي لتلك القيم في مباحث علم الدراية.

وقد توصَّلت الدِّراسةُ إلى جملةٍ من النتائجِ منها: وجود ترابط مباشر بين بعض أنواع علم الحديث دراية وبين بعض القيم الإسلامية، بنيان علم الجرح والتعديل على الإنصاف والعدل والمساواة في الحكم على الرواة دون ميل إلى أهواء أو عصبيات قدر طاقة البشر ؛ نتج عنه منهج وقواعد عالية في الدقة، عدم التسوية بين المدلسين من الرواة، وجعلهم طبقات على حسب الدافع للتدليس ، والأثر المترتب عليه، وكذلك التفريق في الوصف بين الراوي المتروك والراوي الوضاع وأيضا التفريق بين حالتي الثقة الذي تغير حفظه ببيان زمن السلامة وزمن التغير، وغيرها دلائل واضحة على منهجية المحدثين الدقيقة وقمة إنصافهم.

Promoting the Values of Altruism, Honesty and Objectivity in the two Hadith sciences of narration and Knowledge

By: Dr. Ahmed Mohammed Hussein Gouda
Lecturer of Hadith,
Faculty of Islamic and Arabic Studies (Males Branch) in Cairo
godah2004@gmail.com

Abstract

This research sheds light upon originating the values of altruism, honesty and objectivity in theory and practice by Prophet Muhammad's (Peace be upon Him) Sunnah. The research is also keen to show that many topics in the science of knowledge are in harmony with the narration as they promote such values for accepting and documenting those Hadiths as well as considering them as both the ethics of research in that science and as a condition to approve the narrators and consequently, accepting their narrations, their judgments; a merit of this science identified by friends and opponents at the same time.

The research is directed to study the values of altruism, honesty and objectivity in the science of narration, and the practical impact of such values on the science of knowledge.

The research has found out a group of results: for example, there is a direct connection in between some braches of Hadith narration and some Islamic values. Moreover, establishing the science of criticism and modification upon clarity, equality and justice through unbiased judgment of the narrators and this has resulted in highly organized rules and approach, inequality between imposters, categorizing them according to their motives and the implied impact as well as differentiating the omniscient narrator and the one who adds. It also differentiates between statuses of the confidante whose memorization has been changed by underlining both times of sanity and change. Other tacit clues have been displayed to detect the perfect approach of the fair scholars.

Key words: Promoting, values of altruism- objectivity- the science of narration- the practical impact.

مقدمـــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فإن رسالة الإسلام كما هو معلوم هي رسالة الأخلاق والقيم العليا وصاحب الرسالة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم كان مدح الله عز وجل له بأنه صاحب الخلق العظيم، وقد جعل الهدف الأسمى لبعثته تتميم مكارم الأخلاق ،ووصفه صحابته رضوان الله عليهم بأنه كان خلقه القرآن وساروا على نهجه ومن تبعهم بإحسان ؛ لكن في الأزمنة الأخيرة تبدلت هذه القيم عند بعض الناس وأيا كانت الأسباب فإن من أهم أسباب النجاة وإصلاح الخلل الرجوع إلى هدي المنبع الصافي كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وفهم العلماء المخلصين.

ومن هذا المنطلق كانت فكرة البحث وإشكاليته تدور حول تأصيل السنة النبوية لقيم الإيثار والصدق والموضوعية رواية ودراية ، وبيان كيف جاءت كثير من مباحث الدراية متناغمة مع جانب الرواية ومرسخة لهذه القيم في قبول الأحاديث وتوثيقها وجعلها من آداب البحث في هذا العلم وشرطا لقبول الرواة وبالتالي قبول رواياتهم وأحكامهم ومزية لهذا العلم شهد بها العدو والصديق.

والمنهج المستخدم في هذا البحث المنهج التحليلي عن طريق ذكر نماذج من الروايات والتعليق عليها، وبيان الأثر التطبيقي لهذه القيم في قواعد الدراية وتتكون خطة البحث من مقدمة ومبحثين وخاتمة أما المقدمة فتتحدث عن أهمية الموضوع والهدف منه.

المبحث الأول : قيم الإيثار والصدق والموضوعية في علم الرواية ويشتمل على ثلاثة مطالب

المطلب الأول : الروايات الحديثية في قيمة الإيثار .

المطلب الثاني : الروايات الحديثية في قيمة الصدق .

المطلب الثالث : الروايات الحديثية في قيمة الموضوعية .

المبحث الثاني : الأثر التطبيقي لتلك القيم في مباحث علم الدراية ويشتمل على ثلاثة مطالب

المطلب الأول : بيان مباحث الدراية التي طبقت قيمة الإيثار .

المطلب الثاني : بيان مباحث الدراية التي اهتمت بقيمة الصدق .

المطلب الثالث : بيان مباحث الدراية التي قام بنيانها على قيمة الموضوعية .

الخاتمة وبها أهم نتائج البحث .

فإن أكن وفقت لما قصدت فالفضل لله وحده ، وإن كانت الأخرى فأستغفر الله العظيم

والله أسأل أن يرزقنا جميعا الإخلاص وأن يوفقنا لما يحب ويرضى إنه سميع مجيب .

المبحث الأول

قيم الإيثار والصدق والموضوعية في علم الرواية

ستكون الدراسة لهذا المبحث من خلال اختيار بعض الروايات الحديثية التي تتحدث عن هذه القيمة، والتعليق عليها بذكر بعض الفوائد الحديثية المستفادة منها والتي تظهر اهتمام السنة بترسيخ هذه القيم

المطلب الأول: الروايات الحديثية في قيمة الإيثار

من أبرز الأدلة في الروايات الحديثة على الإيثار هذا الموقف الإنساني العالي من الأنصار تجاه إخوانهم المهاجرين مما يدل على سمو أخلاقهم وصلاح قلوبهم و من هذه المواقف موقف سيدنا سعد بن الربيع من الأنصار مع أخيه من المهاجرين سيدنا عبد الرحمن بن عوف رضوان الله عن الجميع حينما عرض عليه أن يقاسمه في ماله ووصل الأمر في الإيثار في أن يعرض عليه أن يطلق إحدى زوجتيه ليتزوجها.

وقابل هذا السمو الخلقي سمو آخر عند المهاجرين و هو تعففهم عن النظر إلى ما في أيدي إخوانهم وسعيهم إلى العمل ليغنوا به أنفسهم و يشاركوا في إعمار الحياة بالعمل النافع.

و الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بسنده عن أنس رضي الله عنه قال : قدم عبد الرحمن بن عوف المدينة فآخى النبي صلى الله عليه و سلم بينه و بين سعد بن الربيع الأنصاري فعرض عليه أن يناصفه أهله و ماله . فقال : عبد الرحمن بارك الله لك في أهلك و مالك دلني على السوق ، فربح شيئا من أقط و سمن ، فرآه النبي صلى الله عليه و سلم بعد أيام و عليه و ضر من صفرة ، فقال النبي صلى الله عليه و سلم " مهيم يا عبد الرحمن ؟" قال : يا رسول الله : تزوجت امرأة من الأنصار قال : "فما سقت فيها ؟" فقال : وزن نواة من ذهب ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم :" أولم و لو بشاة "[1] .

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه / كتاب مناقب الأنصار ٥/ ٦٩ حديث ٣٩٣٧

و الحديث أخرجه الطبراني في المعجم الكبير و فيه تفصيل لعرض سعد على أخيه عبد الرحمن جاء فيه : فقال له سعد : إن لي مالا فهو بيني و بينك شطران ، و لي امرأتان فانظر أيتها أحببت حتى أطلقها ، فإذا خلت فتزوجها ، قال : لا حاجة لي بمالك و أهلك ، دلني على السوق ... الحديث ۔ فانظر إلى هذا الإيثار العالي والخلق السامي الذي جاء ثمرة للإيمان الصحيح والحب في الله ، والسعي في مرضاة الله ورسوله والشعور بحاجة الآخرين ثم انظر إلى هذا التعفف الذي لا ينكب صاحبه على ملذات الدنيا بغير عمل وسعي أو استغلال موقف نبيل لتلبية حاجات مادية ، و قد تركوها و تركوا الأهل و الديار و الأموال حبا في هذا الدين و دفاعا عنه و قربا من الرسول صلى الله عليه وسلم و سعيا لنشر رسالة الإسلام .

حديث آخر في أمور يؤثر بها الإنسان نفسه ،وهو ما كان من أمر الطاعات ،والتبرك بالرسول وآثاره.

أخرج مسلم بسنده عن سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتي بشراب – فشرب منه – وعن يمينه غلام وعن يساره أشياخ فقال للغلام " أتأذن لي أن أعطي هؤلاء " فقال الغلام: لا والله لا أوثر بنصيبي منك أحدا. قال: فتله رسول الله صلى الله علية وسلم في يده.(١)

قال الإمام النووي: قوله (فتله في يده) أي وضعه فيها. ثم قال : وفعل ذلك (أي النبي صلى الله عليه وسلم – تألفا لقلوب الأشياخ و إعلاما بودهم و إيثار كرامتهم إذا لم تمنع منه سنة ، وتضمن ذلك أيضا : بيان هذه السنة و هي أن الأيمن أحق و لا يدفع إلى غيره إلا بإذنه ، و أنه

(١) – مسلم بشرح النووي / كتاب الأشربة / باب استحباب إدارة الماء و اللبن و نحوهما عن يمين المبتدئ حديث ١٢٧ – المجلد الخامس ص١٣/ ص١٨٥ بتصرف

(مسلم بشرح النووي / كتاب فضائل الصحابة / باب من فضائل الأشعريين رضي الله عنهم حديث (١٦٧) (٢٥٠٠) المجلد ٢ السادس ص ١٦ / ص ٥٦

لا بأس باستئذانه ، و أنه لا يلزمه الإذن ، و ينبغي له أيضا أن لا يأذن إن كان فيه تفويت فضيله أخروية و مصلحة دنيوية كهذه الصورة ، و قد نص أصحابنا و غيرهم من العلماء على أنه لا يؤثر في القرب و إنما الإيثار المحمود ما كان في حظوظ النفس دون الطاعات ، قالوا : فيكره أن لا يؤثر غيره بموضعه من الصف الأول و كذلك نظائره .

حديث ثالث يبرز قيمة الإيثار في حال الحاجة والضرورة

أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن أبي موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الأشعريين، إذا أرملوا في الغزو، أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية فهم مني و أنا منهم"٢ "

قال النووي: قوله صلى الله عليه وسلم:" إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو معنى أرملوا فني طعامهم، وفي هذا الحديث فضيلة الأشعريين، وفضيلة الإيثار والمساواة وفضيلة خلط الأزواد في السفر وفضيلة جمعها في شيء عند قلتها في الحضر ثم يقسم.

حديث رابع من أحاديث الإيثار يصف إيثار الوالدين وخاصة الأم

وهوما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه بسنده عن السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت: جاءتني مسكينة تحمل ابنتين لها

فأطعمتها ثلاث تمرات فأعطت كل واحدة منها تمرة ورفعت الى فمها تمرة لتأكلها. فاستطعمتها ابنتها فشقت ذي التي كانت تريد أن تأكلها بينهما. فأعجبني شأنها فذكرت الذي صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إن الله قد أوجب لها بها الجنة أو أعتقها بها من النار))[1]

(١) مسلم بشرح النووي / كتاب البر و الصلة و الآداب / باب فضل الإحسان إلى البنات ح رقم ٢٦٣٠ المجلد السادس ١٦/ ١٧٢

حديث مشهور من أحاديث الإيثار

قصة الأنصاري الذي ضيف ضيف رسول الله صلى عليه و سلم – : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إني مجهود فأرسل إلى بعض نسائه فقالت : و الذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء . فقال النبي صلى الله عليه وسلم " من يضيف هذا الليلة؟" فقال رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله. فانطلق به الى رحله فقال لامرأته: أكرمي ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية قال لامرأته: هل عندك شيء؟ فقالت: لا إلا قوت صبياني قال فعلليهم بشيء وإذا أرادوا العشاء فنوميهم، وإذا دخل ضيفنا فأطفئي السراج وأريه أنا نأكل. فقعدوا وأكل الضيف وباتا طاويين، فلما أصبح غدا على النبي صلى الله عليه و سلم فقال: لقد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة "متفق عليه"[1]

أفاد الحديث الحض على الإيثار. ثناء الله على الأنصاري وامرأته دليل على أنها أحسنا وأجملا.

إكرام الضيف خلق نبيل في الإسلام ولكن كفاية النفس والعائلة متقدم عليه لأنه واجب

المطلب الثاني الروايات الحديثية في قيمة الصدق

أمر الله تعالى عباده المؤمنين بالتزام الصادقين و السير على منوالهم قال تعالى " يا أيها الذين ءامنوا اتقوا الله و كونوا مع الصادقين" سورة التوبة الآية ١١٩ قال عبد الله بن مسعود : لا يصلح من الكذب جد و لا هزل ذلك بأن الله تعالى يقول :(يا أيها الذين ءامنوا اتقوا الله و كونوا مع الصادقين "[2] و الصدق صفة ملازمة للأنبياء و المرسلين و عباد الله المؤمنين كما

(١)الحديث رواه البخاري في المناقب (باب و يؤثرون على أنفسهم آية) و في فضائل الأنصار التفسير ٧/ ٩٠ / ٨٠ ، ٩١ / ٨٨٤ و مسلم في الأشربة باب إكرام الضيف و فضل إيثاره(٢٠٥٤)

(٢)الأثر مذكور في التفسير من سنن سعيد بن منصور لأبي عثمان بن سعيد بن منصور الخراساني ت ٢٢٧ هـ – دراسة و تحقيق د/ سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد ط ١ ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م نشر / دار الصنيعي للنشر و التوزيع ٥/ ٥٩٢.

جاء في سورة مريم (و اذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا) و وصف سيدنا إسماعيل (و اذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد و كان رسولا نبيا) و عرف الرسول صلى الله عليه و سلم في قومه حتى قبل بعثته بالصادق الأمين – و لقب صاحبه و خليفته سيدنا أبو بكر الصديق .

و بين الرسول صلى الله عليه و سلم أن المؤمن قد يقع في بعض الأخلاق الذميمة كالبخل و الجبن و لكنه لا يكون كذابا. والحديث الدال على ذلك أخرجه الإمام مالك في الموطأ عن صفوان بن سليم أنه قال: قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أيكون المؤمن جبانا؟ فقال: **"نعم "** فقيل له :أ يكون المؤمن بخيلا ؟ فقال: **"نعم"** فقيل له : **"أيكون المؤمن كذابا "** فقال: **"لا "**[1] و في شرح لحديث مالك بين الشارح سبب وقوع الجبن من المؤمن لأنه جبل على حب البقاء ، و الشجاعة لا شك أنها موردة ، قد يقتل بسببها ، و سبب كونه بخيلا لأنه جبل على حب المال ، و لا يكون كذابا لأنه لم يجبل على الكذب [2]

و من فضائل الصدق أنه ينجي صاحبه ، و من المواقف الدالة على هذا الأمر موقف الصحابة الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه و سلم في غزوة العسرة و قد أخرج مسلم بسنده أن عبد الله بن كعب قال : سمعت كعب بن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه و سلم في غزوة تبوك ، قال كعب بن مالك : لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها قط إلا في غزوة تبوك غير أني قد تخلفت في غزوة بدر و لم يعاتب أحدا تخلف عنه ، إنما خرج رسول الله صلى الله عليه و سلم و المسلمون يريدون عير قريش ، حتى

---

(١) موطأ مالك – تحقيق الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي نشر دار إحياء التراث العربي بيروت – عام ١٤٠٦ هـــ – ١٩٨٥ باب ما جاء في الصدق و الكذب ٢/ ٩٩٠

(٢) شرح موطأ مالك بن أنس للشيخ عبد الكريم بن عبد الله الخضير – دروس مفرغة من موقع الشيخ بتصرف

جمع الله بينهم و بين عدوهم على غير ميعاد ، ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه و سلم ليلة العقبة ، حين تواثقنا على الإسلام ، و ما أحب أن لي بها مشهد بدر ، و إن كانت بدر أذكر في الناس منها ، و كان من خبري حين تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه و سلم في غزوة تبوك أني لم أكن قط أقوى و لا أيسر من حين تخلفت عنه في تلك الغزوة ، و الله ما جمعت قبلها راحلتين قط ، حتى جمعتها في تلك الغزوة ، فغزاها رسول الله صلى الله عليه و سلم في حر شديد و استقبل سفرا بعيدا و مفازا و استقبل عدوا كثيرا فجلا للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم ، فأخبرهم بوجههم الذي يريد و المسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير ، و لا يجمعهم كتاب حافظ -يريد بذلك الديوان – قال كعب : فقل رجل يريد أن يتغيب يظن أن ذلك سيخفي له ، ما لم ينزل فيه وحي من الله عز و جل ، وغزا رسول الله صلى الله عليه و سلم تلك الغزوة حين طابت الثمار و الظلال فأنا إليها أصعر ، فتجهز رسول الله صلى الله عليه و سلم و المسلمون معه و طفقت أعدو لكي أتجهز معهم ، فأرجح و لم أقصد شيئا ، و أقول في نفسي : أنا قادر على ذلك ، إذا أردت ، فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى استمر بالناس الجد ، فأصبح رسول الله صلى الله عليه و سلم غاديا و المسلمون معه ، و لم أقصد من جهازي شيئا ثم غدوت فرجعت و لم أقض شيئا ، فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى أسرعوا و تفارط الغزو فهممت أن أرتحل فأدركهم ، فيا ليتني فعلت ، ثم لم يقدر ذلك لي ، فطفقت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يحزنني أني لا أرى لي أسوة إلا رجلا مغموصا عليه في النفاق ، أو رجلا ممن عذر الله من الضعفاء ، و لم يذكرني رسول الله صلى الله عليه و سلم حتى بلغ تبوك فقال : و هو جالس في القوم بتبوك " ما فعل كعب بن مالك ؟" قال رجل من بني سلمة يا رسول الله حبسه برداه و النظر في عطفيه فقال له معاذ بن جبل : بئس ما قلت و الله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيرا ، فسكت رسول الله صلى الله عليه و سلم ، فبينما هو على ذلك رأى رجلا مبيضا يزول به السراب فقال رسول الله

صلى الله عليه و سلم :" كن أبا خيثمة " فإذا هو أبو خيثمة الأنصاري ، و هو الذي تصدق بصاع التمر حين لمزه المنافقون ، فقال كعب بن مالك : فلما بلغني أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قد توجه قافلا من تبوك ، حضرني بثي ، فطفقت أتذكر الكذب و أقول : بم أخرج من سخطه غدا ؟ و أستعين على ذلك كل ذي رأي من أهلي ، فلما قيل لي : إن رسول الله صلى الله عليه و سلم قد أظل قادما ، زاح عني الباطل ، حتى عرفت أني لن أنجو منه بشيء أبدا ، فأجمعت صدقه ، و صبح رسول الله صلى الله عليه و سلم قادما و كان إذا قدم من سفر ، بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس ، فلما فعل ذلك جاءه المخلفون ، فطفقوا يعتذرون إليه و يحلفون له ، و كانوا بضعة و ثمانين رجلا فقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم ، و بايعهم و استغفر لهم ، و وكل سرائرهم إلى الله ، حتى جئت ، فلما سلمت تبسم المغضب ، ثم قال "تعال " فجئت أمشي حتى جلست بين يديه فقال لي : " ما خلفك ؟ألم تكن قد ابتعت ظهرك ؟" قال : قلت : يا رسول الله و الله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر ، و لقد أعطيت جدلا ، و لكني و الله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخطك علي و لئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه ، إني لأرجوا فيه عقبى الله ، و الله ما كان لي عذر ، و الله ما كنت قط أقوى و لا أيسر من حين تخلفت عنك قال رسول الله صلى الله عليه و سلم :" أما هذا فقد صدق ، فقم حتى يقضي الله فيك " فقمت . و ثار رجال من بني سلمة فاتبعوني ، فقالوا : و الله ما علمناك أذنبت ذنبا قبل هذا ، لقد عجزت في أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم بما اعتذر به إليه المخلفون ، فقد كان كافيك ذنبك . استغفار رسول الله صلى الله عليه و سلم لك قال : فو الله ما زالوا يؤنبوني حتى أردت أن أرجع إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فأكذب نفسي ، قال ثم قلت لهم : هل لقى هذا معي من أحد ؟ قالوا: نعم لقيه معك رجلان ، قالا مثل ما قلت ، فقيل لهما مثل ما قيل لك ، قال قلت : من هما ؟

قالوا: مرارة بن الربيعة العامري و هلال بن أمية الواقفي ، قال : فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرا فهما أسوة . قال : فمضيت حين ذكروهما لي قال :و نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا .

ثم ذكر بقية قصته و كيف ضاقت عليه و على صاحبيه الأرض بما رحبت لعدم كلام الناس لهم . و اعتزال نسائهم خمسين ليلة حتى تاب الله عليهم .

قال كعب : فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : و هو يبرق وجهه من السرور و يقول :" أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك " قال : فقلت : أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله فقال :" لا : بل من عند الله " و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا سر استنار وجهه كأن وجهه قطعة قمر ، قال : و كنا نعرف ذلك قال : فلما جلست بين يديه قلت : يا رسول الله إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله و إلى رسوله صلى الله عليه و سلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم " أمسك بعض مالك فهو خير لك " قال : فقلت : فإني أمسك سهمي الذي بخيبر قال : وقلت يا رسول الله إن الله إنما أنجاني بالصدق و إن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقا ما بقيت قال : فو الله ما علمت أن أحدا من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه و سلم إلى يومي هذا أحسن مما أبلاني الله به ، و الله ما تعمدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله صلى الله علية و سلم إلى يومي هذا ، و إني لأرجوا أن يحفظني الله فيما بقي قال : فأنزل الله عز وجل :(لقد تاب الله على النبي والمهاجرين و الأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة) حتى بلغ : (يا أيها الذين ءامنوا اتقوا الله و كونوا مع الصادقين) قال كعب : و الله ما أنعم الله علي من نعمة قط بعد إذ هداني الله للإسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله صلى الله عليه و سلم ، أن لا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوا ، إن الله قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شر ما قال لأحد . و قال الله : (سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم ، فأعرضوا

عنهم إنهم رجس و مأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين " التوبة ٩٦

قال كعب : كنا خلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله صلى الله عليه و سلم حين حلفوا له ، فبايعهم و استغفر لهم و أرجأ رسول الله صلى الله عليه و سلم أمرنا حتى قضى الله فيه ، فبذلك قال الله عز وجل : و على الثلاثة الذين خلفوا ، و ليس الذي ذكر الله مما خلفنا ، تخلفنا عن الغزو ، و إنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عمن حلف له و اعتذر إليه فقبل منه(١)

و في هذه القصة الكثير من العظات و العبر ففيها دلالة على عدم التراخي في أمر الخير و تأجيله ، وأيضا عدم الانشغال بزهرة الحياة الدنيا ، و من أظهر ما فيها الصدق و كيف ينجي صاحبه من الشدائد فلقد كان صدق هؤلاء الصحابة و ندمهم مجلبة لتوبة الله عليهم و مرضاته ، كما أن كذب المنافقين أهلكهم وأخزاهم في الدنيا و الآخرة .

حديث مشهور في الحث على التزام الصدق:

أخرج الإمام مسلم بسنده عن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "عليكم بالصدق. فإن الصدق يهدي إلى البر. و إن البر يهدي إلى الجنة .و ما يزال الرجل يصدق و يتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا و إياكم و الكذب ، فإن الكذب يهدي إلى الفجور و إن الفجور يهدي إلى النار . و ما يزال الرجل يكذب و يتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا"(٢)

(١) صحيح مسلم / تحقيق الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي نشر دار إحياء التراث العربي – بيروت كتاب التوبة / باب حديث توبة كعب بين مالك و صاحبين ٤/ ٢١٢٠ حديث ٦٩/ ٢١

(٢) مسلم بشرح النووي / كتاب البر و الصلة و الآداب / باب قبح الكذب ، و حسن الصدق ، و فضله / ح ٢٦٠٧- المجلد السادس ١٦/ ١٥٠

أفاد الحديث الترغيب في الصدق لأنه سبب كل خير ، و التحذير من الكذب لأنه سبب كل شر ، و أن من اشتهر بشيء صح أن يوصف به[١]

حديث رابع يدل على بركة الصدق المادية والمعنوية عند الحرص عليه في التعامل مع الناس

عن أبي خالد حكيم بن حزام رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " البيعان بالخيار ما لم يتفرقا ، فإن صدقا و بينا بورك لهما في بيعهما و إن كتما و كذبا محقت بركة بيعهما" متفق عليه[٢] فائدة : كما أن التاجر إذا صدق في سلعته ، و لم يغش بورك له في معاملته، كذلك العبد إذا صدق في معاملته مع ربه ولم يغش في أداء الواجبات برياء أو سمعة بورك له في تلك المعاملة ، و أعطى الأجر والثواب . كما أفاد الحديث أن الكذب سبب لمحق البركة [٣]

بركة الصدق المعنوية طمأنينة النفس وراحة البال

ومن أحاديث الصدق ما رواه الترمذي عن أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: حفظت عن رسول الله صلى الله عليه و سلم: دع ما يريبك إلى ما يريبك ، فإن الصدق طمأنينة و الكذب ريبة " رواه الترمذي و قال حديث صحيح . قوله : "يريبك "هو بفتح الياء و ضمها : و معناه اترك ما تشك في حله و اعدل إلى ما لا تشك فيه [٤]

أفاد الحديث استحباب التنزه عن الشبهات و الإقدام على ما هو حلال بين لأن من اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه و عرضه. الصدق يبعث في نفس صاحبه الطمأنينة والشجاعة

---

(١) نزهة المقيمين ١/ ٧١ شرح رياض الصالحين

(٢) الحديث رواه البخاري في البيوع / باب إذا بين البيعان و لم يكتما و نصحا) و غيره ٤/ ٢٧٥،٢٧٦ و مسلم في البيوع باب ثبوت خيار المجلس للمتابعين / ١٥٣٢

(٣) نزهة المتقيين شرح رياض الصالحين ١/ ٧٤

(٤) الحديث رواه الترمذي في أبواب صفة القيامة / باب (اعقلها و توكل) رقم / ٢٥٢٠

وعزة النفس وثقة الناس به والكذب يبعث في نفس صاحبه الشك والتردد والخوف والذل والهوان والصغار وعدم الثقة بين الناس(١)

المطلب الثالث : روايات حديثية تدل على قيمة الموضوعية

حديث في الموضوعية مع المخالفين يظهر مدح النبي صلى الله عليه و سلم لمكارم الأخلاق حتى لو صدرت من غير مسلم . جاء ذلك في مدحه لأخلاق حاتم الطائي ،

و أشار إلى ذلك صاحب الأربعين الطائية و هو يشير إلى رواية عدى بن حاتم الطائي رضي الله عنه للحديث الثلاثين – قال : أكرمه رسول الله صلى الله عليه و سلم حين قدم عليه ، و فرح بإسلامه ، و أجله على الوسادة . و سبيت أخته مع نفر كثير ، فلما خرج رسول الله صلى الله عليه و سلم من المسجد قامت فقالت : يا رسول الله ذهب الوالد و غاب الفاقد ، فلا تشمت بنا أحياء العرب ، فإني ابنة من كان يقري الضيف ، و يفك العاني و يطلق الأسير ، و يعطي السائل فقال عليه السلام : " من كان أبوك ؟" قالت : حاتم الطائي ، فقال :" خلوا عنها ، فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق " فقالت : و من معي فقال : " و من معها " و كانوا سبعمائة (٢) و الحديث أخرجه البيهقي في كتابه شعب الإيمان في ما يخص حسن الخلق مختصرا (٣)

(١) نزهة المتقين ١/ ٧١

(٢) كتاب الأربعين في إرشاد السائرين إلى منازل المتقين أو الأربعين الطائية – لمحمد بن محمد بن علي أبو الفتوح الطائي المتوفي ٥٥٥هـ تحقيق د/ عبد الستار أبو غده ط ١ ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م نشر دار البشائر الإسلامية ص ١/ ١٧

(٣) شعب الإيمان لأبي بكر أحمد بن الحسن البيهقي ت د / عبد العلى عبد الحميد ط١ ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣ م نشر مكتبة الرشد بالرياض ١٠ / ٣٧٣ حديث رقم ٧٦٤٩

و الحديث أيضا أورده بطولة ابن حمزة الحسيني في أسباب ورود الحديث تحت رقم (١٧٧٤) لا يدخل الجنة أحدا إلا بحسن الخلق قال : أخرجه البيهقي في الدلائل و ابن عساكر في التاريخ عن علي أمير المؤمنين رضي الله عنه سببه كما جاء في الجامع الكبير عن ضرار بن صرد قال : حدثنا عاصم بن حميد عن أبي حمزة السمالي عن عبد الرحمن بن جندب عن كميل بن زياد قال : قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : يا سبحان الله ما أزهد كثيرا من الناس في خير عجبا لرجل يجيئه أخوه المسلم في الحاجة فلا يرى نفسه للخير أهلا فلو كان لا يرجو ثوابا و لا يخشى عقابا لكان ينبغي له أن يسارع في مكارم الأخلاق فإنها تدل على سبيل النجاح ، فقام إليه رجل فقال : فداك أبي و أمي يا أمير المؤمنين أسمعته من رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : نعم و ما هو خير منه لما أتتنا سبايا طئ وقفت جارية جاء في الحديث ذكر بعض صفاتها ثم قال : فلما رأيتها أعجبت بها و قلت لأطلبن إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم يجعلها في فيئي فلما تكلمت أنسيت جمالها لما رأيت من فصاحتها فقالت : يا محمد إن رأيت أن تخلي عني و لا تشمت بي أحياء العرب فإني ابنة سيد قومي و إن أبي كان يحمي الذمار و يفك العاني ، و يشبع الجائع ، و يكسو العاري ، و يقري الضيف و يطعم الطعام و يفشي السلام ، و لم يرد طالب حاجة قط انا ابنة حاتم طيئ . فقال النبي صلى الله عليه و سلم : يا جارية هذه صفة المؤمنين حقا لو كان أبوك مسلما لترحمنا عليه ، خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق و الله يحب مكارم الأخلاق [١]

و الحديث رواه ابن النجار من وجه آخر . و في قصة ابنة حاتم دلالة واضحة على عدالة و موضوعية المنهج الإسلامي في إعطاء الناس حقوقهم حتى لو كانوا غير مسلمين في الدنيا

(١) البيان و التعريف في أسباب ورود الحديث – تأليف إبراهيم بن محمد بن محمد كمال الدين ابن حمزة الحسيني الدمشقي المتوفي ١١٢٠ هـــ تحقيق سيف الدين الكاتب . نشر دار الكتاب العربي – بيروت ٢/ ٢٩٤

بمدح الأخلاق الفاضلة عندهم و التي دعا إليها الإسلام ، فقد مدح رسول الله صلى الله عليه و سلم حب حاتم لمكارم الأخلاق وأكرم ابنته ، و قبل شفاعتها ،

ومن هذا القبيل **رواية أخرى في الموضوعية** مدح رسول الله صلى الله عليه و سلم لحلف الفضول و إن كان صانعوه من المشركين لأن فيه خلقا دعا الإسلام إليه و هو نصرة المظلوم و رد الظالم عن ظلمه .

و قد ذكر أبو عبد الله محمد الفاكهي حلف الفضول و سببه و تفسيره و غيره من الحلف قال : و حدثني الزبير قال : حدثني محمد بن فضالة عن عبد الله بن زياد بن سمعان عن ابن شهاب قال : كان شأن حلف الفضول أن رجلا من بني زبيد قدم مكة معتمرا في الجاهلية و معه تجارة له فاشتراها منه رجل من بني سهم فأواها إلى بيته ثم تغيب فابتغى متاعه الزبيدي فلم يقدر عليه فجاء إلى بني سهم يستعد يهم عليه فأغلظوا عليه فعرف أن لا سبيل إلى ماله فطوف في قبائل قريش يستعين بهم ، فتخاذلت القبائل عنه فلما رآى ذلك أشرف على أبي قبيس حين أخذت قريش مجالسها ثم قال بأعلى صوته

يا لفهر لمظلوم بضاعته :. ببطن مكة نائي الأهل و الوطن

و محرم أشعث لم يقضي عمرته :. يا آل فهر و بين الحجر و الحجر

هل محضر من بني سهم بحضرتهم :. فعادل أم ضلال مال معتمر

فلما نزل من الجبل أعظمت ذلك قريش فتكالموا فيه و قال المطيبون : و الله لأن قمنا في هذا لنقضين على الأحلاف ، و قال الأحلاف و الله لان تظلمنا في هذا لنقضين على المطيبين فقال ناس من قريش تعالوا فلنكرر حلف الفضول دون المطيبين و دون الأحلاف فاجتمعوا في دار عبد الله بن جدعان ، و صنع لهم يومئذ طعام كثيرا ، و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يومئذ معهم قبل أن يوحى إليه و هو ابن خمس و عشرين سنة فاجتمعت بنوها شم و أسد و زهرة و تيم ، و كان الذي تعاقد عليه القوم و تحالفوا أن لا يظلم بمكة غريب و لا قريب و لا

حر و لا عبد إلا كانوا معه حتى يأخذوا له بحقه و يردوا إليه مظلمته من أنفسهم و من غيرهم ، ثم عمدوا إلى ماء زمزم فجعلوه في جفنه ثم بعثوا به إلى البيت فغسلت به أركانه ثم أتوا به فشربوه، فحدث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان من حلف الفضول ما لو دعيت إليه لأجبت و ما أحب أن لي به حمر النعم (١)

موقف آخر في الموضوعية

مدح المحافظة على الخلق الحسن حتى و إن كان أهل العصر ليسوا أهل صلاح في جملة أحوالهم لأن وجود هذه البذرة الطيبة يمكن أن يبني عليها فتنتج ثمارا يانعة من جميل الأخلاق و الصفات' و هذا واضح في رد النبي صلى الله عليه و سلم على سؤال من أكرم الناس ؟ و هذا المدح راجع للخلق والوصف الذي يزدان و تكثر بركته حينما تصحبه العقيدة الصحيحة و الدين الحق حتى ينتفع به صاحبه في الدنيا و الآخرة ، و الحديث المشار إليه أخرجه البخاري في صحيحه بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الناس أكرم ؟ قال أكرمهم عند الله أتقاهم قالوا :ليس عن هذا نسألك : قال فأكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله قالوا : ليس عن هذا نسألك ، قال (فعن معادن العرب تسألوني) قالوا نعم قال (فخياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا) (٢)

(١) أخبار مكة في تقديم الدهر و حديثه – تأليف أبي عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس المكي الفاكهي المتوفي ٢٧٢ هـ تحقيق د/ عبد الملك عبد الله دهيش ط٢ ١٤١٤هـ نشر دار خضر – بيروت ٥/ ١٦٩-١٧٠ و الحديث أخرجه مختصرا الطحاوي في مشكل الآثار ١٥/ ٢٢١ ح ٥٩٧١

(٢) صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل البخاري / ت محمد زهير ناصر نشر دار طوق النجاة ط ١ ١٤٢٢ هـ/ كتاب التفسير ٦/ ٧٦ حديث رقم ٤٦٨٩

قال الإمام النووي في شرح الحديث : قال العلماء و أصل الكرم كثرة الخير ، وقد جمع يوسف صلى الله عليه وسلم مكارم الأخلاق مع شرف النبوة مع شرف النسب و كونه نبيا بن ثلاثة أنبياء متناسلين أحدهم خليل الله صلى الله عليه وسلم و انضم إليه شرف علم الرؤيا و تمكنه فيه و رياسة الدنيا و ملكها بالسيرة الجميلة ، و حياطته للرعية و عموم نفعه إياهم و شفقته عليهم و إنقاذه إياهم من تلك السنين والله أعلم.

قال العلماء لما سئل صلي الله عليه و سلم أي الناس أكرم أخبر بأكمل الكرم و أعمه فقال: أتقاهم لله ، وقد ذكرنا أن أصل الكرم كثرة الخير ومن كان متقيا كان كثير الخير وكثير الفائدة في الدنيا وصاحب الدرجات العلا في الآخرة فلما قالوا ليس عن هذا نسألك ،قال : يوسف الذي جمع خيرات الآخرة و الدنيا وشرفها فلما قالوا : ليس عن هذا نسأل فهم عنهم أن مرادهم قبائل العرب قال : خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا و معناه أن أصحاب المروءات ومكارم الأخلاق في الجاهلية إذا أسلموا وفقهوا فهم خيار الناس ،

قال القاضي: و قد تضمن الحديث في الأجوبة الثلاثة أن الكرم كله عمومه و خصوصه ومجمله و مبانيه ، إنما هو الدين من التقوى و النبوة و الإغراق فيها ،و الإسلام مع الفقه، ومعني معادن العرب أصولها و فقهوا بضم القاف علي المشهور أي صاروا فقهاء عالمين بالأحكام الشرعية الفقهية والله أعلم(١)

و من أبرز الأدلة على قيمة الموضوعية ما جاء في القرآن الكريم و دلت عليه السنة دلالة مطابقة و هو العدل و الإنصاف حتى مع من يبغضه الإنسان لكفره أو لأي سبب آخر قال تعالى :" يا أيها الذين ءامنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط و لا يجر منكم شنئان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى و اتقوا الله إن الله خبير بما تعملون " سورة المائدة آية٨

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج لأبي زكريا محي الدين النووي ط٢ ١٣٩٢ هـــــت نشر دار إحياء التراث – بيروت ١٥/ ١٣٤ ، ١٣٥

و ظهر هذا الفهم و العمل من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم و كان من ذلك موقف سيدنا عبد الله بن رواحة رضي الله عنه من اليهود لما عرضوا عليه الرشوة

أخرج الإمام مالك في الموطأ عن ابن شهاب عن سليمان بن يسار ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يبعث عبد الله ابن رواحة ، فيخرص بينه و بين يهود ، قال : فجمعوا له حليا من حلي نسائهم ، و قالوا : هذا لك ، و خفف عنا ، و تجاوزوا في القسم ، قال ابن رواحة : يا معشر اليهود ، و الله إنكم لمن أبغض خلق الله إلي و ما ذاك بحاملي على أن أحيف عليكم ، فأما الذي عرضتم من الرشوة ، فإنها سحت و إنا لا نأكلها ، فقالوا :بهذا قامت السماوات و الأرض [1] قال أبو عمر هكذا روى مالك في حديثه (عن سعيد ابن المسيب) مرسلا و تابعه معمر و اكثر أصحاب ابن شهاب على إرساله و قد وصلته منهم طائفة منهم صالح ابن أبي الأخضر عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن رسول اله صلى الله عليه و سلم : لما فتح خيبر دعا اليهود فقال نعطيكم الثمر على أن تعملوها أقركم ما أقركم الله فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث عبدالله ابن رواحة فيخرصها عليهم ثم يخبرهم أيأخذون بخرصه أم يتركون[2]

من الموضوعية العدل بين الأبناء

ورد حديث فيه دلالة على العدل و المساواة بين الأولاد عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن أباه أتى به رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال : " إني نحلت ابني هذا غلاما كان لي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أكل ولدك نحلته مثل هذا؟ فقال :لا فقال رسول الله صلى

(١) موطأ الإمام مالك بن أنس برواية أبي مصعب الزهري تحقيق د/ بشار عواد معروف –محمود خليل – نشر مؤسسة الرسالة سنة ١٤١٢ هـــــ ٢/ ٢٧٧ رقم ٢٣٩٨

(٢) – الاستذكار – لأبي عمر يوسف ابن عبد الله بن عبد البر المتوفي سنة ٤٣٦ هـــــ – تحقيق سالم محمد عطا – محمد علي معوض ط١ ١٤٢١ هـــــ سنة ٢٠٠٠ م نشر دار الكتب العلمية – بيروت ٧/ ٣٧

الله عليه و سلم "فأرجعه". و في رواية : فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم :" أفعلت هذا بولدك كلهم ؟"قال :لا قال : اتقوا الله واعدلوا في أولادكم " فرجع فرد تلك الصدقة ، و في رواية : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :يا بشير: ألك ولد سوى هذا ؟ قال : نعم قال :"؟أكلهم وهبت له مثل هذا ؟" قال : لا قال:"فلا تشهدني إذا فإني لا أشهد على جور" و في رواية " لا تشهدني على جور" و في رواية :"أشهد على هذا غيري " ثم قال:"أيسرك أن يكونوا في البر سواء؟ قال: نعم قال : (فلا إذا) متفق عليه (١)

آثار العدل على كل مكونات الحياة

قال الشيخ الخليلي : تحت عنوان مبدأ العدل و أثره في المحافظة على سلامة البيئة إن العدل مبدأ عام في الإسلام يستوي في موازينه البعيد و القريب و البغيض و الحبيب و هو ميزان دقيق حساس ينكر بطبعه كل ما خرج عن حدوده ، لذلك أمر الله تعالى المؤمنين أن يكونوا عدولا حتى مع أنفسهم أو أخص خاصتهم وأحب قرابتهم و قد قال الله تعالى :(يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين و الأقربين إن يكن غنيا أو فقير فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا و ان تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا) (النساء:١٣٥) و بغض البغيض لا يحول دون وصوله إلى ماله من حق العدل و الإنصاف في الإسلام ، فلا عجب إن رأينا الإسلام في مقام الانتصاف من الغير يأمر باسترداد الحق من غير تجاوز لحدوده الطبيعية، فلا يسوغ أن يتجاوز العقاب قدر الإجرام ، فقد قال تعالى (و إن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به)(النحل ١٢٦) و مه هذا فإنه يعرض بالعفو فضله و حسن الصبر على البلاء حيث اتبع ذلك قوله (و لئن صبرتم لهو خير للصابرين)(النحل ١٢٦) و هذا يعني الترغيب في عدم الاستقصاء في الانتصاف من الخصم

(١) رواه البخاري / كتاب الهبة / باب الهبه للولد (وباب الإشهاد في الهبه ٥/ ١٥٥،١٥٧ – و مسلم في كتاب الهبات / باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة (١٦٢٣) نزهة المتقين ٢/ ٤٢٠،٤٢١

بعد ما فرض أن يكون الانتصاف في حدود العدل و المعروف فلا ريب أن في هذا تجنيبا للبشر و الحيوانات و الأرض و معالمها و الزرع و الأشجار و الثمار ويلات الحروب التي تهلك الحرث و النسل و تأكل الأخضر و اليابس .(١)

وقد بين حجة الإسلام الغزالي أن العدالة من أمهات الفضائل فقال تحت عنوان بيان أمهات الفضائل: الفضائل وان كانت كثيرة فتجمعها أربعة تشمل شعبها وأنواعها وهي الحكمة والشجاعة والعفة والعدالة فالحكمة فضيلة القوى العقلية. والشجاعة فضيلة القوى الغضبية. والعفة فضيلة القوة الشهوانية. والعدالة عبارة عن وقوع هذه القوى على الترتيب الواجب. فبها تتم جميع الأمور، و لذلك قيل للعدل قامت السماوات و الأرض ص٤٩ ثم ذكر أن العدل في المعاملة وسط بين رزيلتي الغبن و التغابن و هو أن يأخذ ماله و يعطي ماله أن يعطي . و الغبن أن يأخذ ما ليس له . و التغابن هو أن يعطى في المعاملة ما ليس علية حمد و أجر ص٥٤ ثم ذكر أن العدالة كما لها الإنصاف ص٦٥(٢)

بيان كون هذه الأخلاق و الضوابط في علم أصول الحديث مستقاة من القرآن و السنة

يقول الدكتور خلدون الأحدب :(٣) و مما لا ريب فيه أن علماء الحديث من لدن الصحابة رضوان الله عليهم قد صدروا فيما و ضعوه من قواعد و قوانين هذا العلم ، من الأصول التي

(١) راجع القيم الإسلامية و دورها في تقديم الحلول للمشكلات البيئية العالمية سماحة الشيخ العلامة أحمد بن حمد الخليلي المفتي العام لسلطنة عمان ص٨٧،٨٨ بحث مقدم إلى المؤتمر العام الخامس عشر بأكاديمية آل البيت الملكية سبتمبر ٢٠١٠ م (البيئة في الإسلام)

(٢) (١)- ميزان العمل – تأليق الإمام الهمام حجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي المتوفي سنة ٥٠٥ هـ مكتبة و مطبعة محمد علي صبيح و أولاده بميدان الأزهر

(٣) راجع أثر علم أصول الحديث في تشكيل العقل المسلم د/ خلدون الأحدب – دار ابن حزم – للطباعة و النشر بيروت – لبنان ط١ ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م ص ٣٢-٣٥بتصرف

قررها القرآن الكريم و السنة المطهرة و التي تشكل أسس المنهج النقدي الحديثي في القبول و الرد

و يمكن تلخيص هذه الأصول بما يلي :

الأصل الأول : تحريم الكذب . لقوله تعالى (إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله) (النحل:١٠٥) قال الإمام ابن عبد البر (التمهيد لما في الموطأ من المعاني و الأسانيد ١٦/ ٢٥٥) في تفسير هذه الآية فذلك عندي – و الله أعلم –الكذب على الله أو على رسوله و لقوله صل الله عليه وسلم :"من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار " رواه البخاري برقم (١١٠) و مسلم برقم(٣) من حديث أبي هريرة و إذا كان الكذب كبيرة من أصله ، فإن الكذب على النبي صلى الله عليه و سلم من أكبر الكبائر و لأن حديثه دين يتبع و شريعته تنتهج فقال :" إن كذبا علي ليس ككذب على أحد..." رواه البخاري برقم (١٢٩١) و مسلم برقم(٤) من حديث المغيرة بن شعبه إن هذا الأصل تقعيد لوجوب الأمانة العلمية، و تحريم الخيانة فيها .

من كتاب (أثر علم أصول الحديث في تشكيل العقل المسلم)([1])

الأصل الثاني : من الأصول التي وردت أيضا في الكتاب (تحريم نقل الخبر المكذوب ، و نفي رواية المنكر من الأخبار و الاحتياط في تحملها) . لقوله صلى الله عليه و سلم : "من حدث عني بحديث يرى أنه كذبا فهو أحد الكاذبين " رواه مسلم في مقدمة صحيحه (١/ ٩) شرح النووي (١/ ٦٥)

فيه دلالة على نفي رواية المنكر من الأخبار كنحو دلالة القرآن على نفي خبر الفاسق و لقوله صلى الله عليه و سلم أيضا "سيكون في آخر أمتي أناس يحدثونكم ما لم تسمعوا أنتم و لا آبائكم فإياكم و إياهم" رواه مسلم في صحيحه برقم (٦) من حديث أبي هريرة في باب النهي

(١))د/ خلدون الأحدب ص٣٢ ص٣٣ (

عن الرواية عن الضعفاء و الاحتياط في تحملها و في رواية أخرى زيادة قوله في آخره:"لا يضلونكم ولا يفتنونكم " رواه مسلم أيضا برقم (٧).

المبحث الثاني

الأثر التطبيقي لقيم الإيثار والصدق والموضوعية في علم الدراية

المطلب الأول: بيان مباحث الدراية التي طبقت قيمة الإيثار

يتمثل الإيثار واضحا في نوع من أنواع علوم الدراية و هو معرفة آداب المحدث حيث نجد العلماء قد نصوا على أمرين جعلوهما من آداب المحدث و فيهما إيثار للعلم و أهله و إعطاء أصحاب الحقوق حقوقهم وهضم حظ النفس و حبها للتميز و الظهور و هذان الأمران هما :

١ – ألا يحدث بحضرة من هو أولى منه.

٢ – أن يرشد طلابه إلى من هو أعلم منه .

قال الإمام النووي : الأولى أن لا يحدث بحضرة من هو أولى منه ، لسنه ، أو لعلمه ، أو غيره ، و قيل : يكره أن يحدث في بلد فيه أولى منه و علق السيوطي شارحا هذه المقولة ببيان صفات من هو أولى ،بأن يكون أعلى سندا ، أو سماعه متصلا و في طريقه هو إجازة و نحو ذلك .

ثم ذكر مثالا بأن إبراهيم النخعي كان لا يتكلم بحضرة الشعبي بشيء . ثم ذكر قول يحيى بن معين في من حدث في بلد فيه أولى منه : بأن من فعل ذلك فهو أحمق (١)

و قال الإمام النووي في الأدب الثاني : و ينبغي له إذا طلب منه ما يعلمه عند أرجح منه ، أن يرشد إليه فالدين النصيحة)

قال ابن دقيق العيد في الاقتراح ص٣٥: ينبغي أن يكون هذا عند الاستواء فيما عدا الصفة المرجحة ، أما مع التفاوت بأن يكون الأعلى إسنادا عاميا وإلا نزل عارف ضابط ، فقد يتوقف في الإرشاد إليه لأنه قد يكون في الرواية عنه ما يوجب خللا.

(١) راجع تدريب الراوي ص ٣٣٦ – الجامع لأخلاق الراوي ١/ ٣١٩ ، ٣٢٠

و قد خالف السيوطي النووي في كراهية التحديث بحضرة من هو أولى منه فقال: الصواب إطلاق أن التحديث بحضرة الأولى ليس يمكروه ، و لا خلاف الأولى ، فقد استنبط العلماء من حديث :"أن ابني كان عسيفا ..." الحديث أخرج البخاري (٢٧٢٤ ، ٢٧٢٥) ومسلم (٤٤٣٥) من حديث أبي هريرة و زيد بن خالد الجهني أن الصحابة كانوا يفتون في عهد النبي صلى الله عليه وسلم و في بلده .

و روى البيهقي في المدخل رقم (٦٣٥) بسند صحيح عن ابن عباس :أنه قال لسعيد بن جبير : حدث قال: أحدث و أنت شاهد؟ قال : أو ليس من نعم الله عليك أن تحدث و أنا شاهد ، فإن أخطأت علمتك ؟ [١] و أيضا ذكر النووي من آداب طالب الحديث ما يدل على إيثار اليقين و التثبت في المعلومات على حظ النفس فبين أن من آدابه :

عدم التساهل في التحمل طلبا لجمع الروايات الكثيرة ' قال النووي : " و لا يحملنه الشره على التساهل في التحمل ، فيخل بشيء من شروطه" ثم ذكر السيوطي أن شهوة السماع لا تنتهى، ونهمة الطلب لا تنقضي ،والعلم كالبحار التي يتعذر كيلها [٢]

وآيا ما كان الخلاف ففي هذا الكلام دليل على تحلى أصحاب الحديث محدثين وطلابا بخلق الإيثار ومطبقين له قولا و عملا .

المطلب الثاني : بيان مباحث الدراية التي اهتمت بقيمة الصدق

اهتم العلماء بجانب الصدق في علم الدراية فهو أساس قبول الأخبار و التمسك به تمسك بصفة المؤمن الحق الذي يسير على منهج النبي المختار الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم

(١) تدريب الراوي للسيوطي ص ٣٣٦. ٣٣٧ الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث ص ١٢٩

(٢) تدريب الراوي ص٣٤٨

فالصدق أساس في شرط العدالة التي هي أحد ركني توثيق الرواة مع الضبط و بفقد الصدق يحكم على الرواة بالضعف الشديد ما بين متروك لأن الراوي يكذب في حديثه مع الناس و إن لم يثبت عليه الكذب على الرسول صلى الله عليه و سلم، والثاني من تجرأ بالكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم وضاع كذاب والكذب بأنواعه يطعن في عدالة الراوي و يكون سببا جليا في رد روايته، و قد تشدد بعض علماء الحديث صونا للسنة و روايتها فقالوا: بعدم قبول توبة من وقع منه الكذب في الرواية هذا في أمر الرواية و ليس بينه و بين الله عز و جل، فالله يقبل التوبة ما لم تطلع الشمس من مغربها . **اشتراط العدالة في قبول الرواية** و هي شرط قيمي و الصدق جزء من العدالة و هي شرط لقبول الرواية.

قال النووي في صفة من تقبل روايته: أجمع الجماهير من أئمة الحديث و الفقه أنه يشترط فيه أن يكون عدلا ضابطا ، بان يكون مسلما بالغا عاقلا سليما من أسباب الفقه و خوارم المروءة

قال السيوطي : وفسر العدل :بأن يكون مسلما بالغا عاقلا فلا يقبل كافر ،ومجنون مطبق بالإجماع ومن تقطع جنونه وأثر في زمن إفاقته ، و إن لم يؤثر قبل ، قاله ابن السمعاني ،

ولا يقبل صبي على الأصح و قيل : يقبل المميز إن لم يجرب عليه الكذب .(سليما من أسباب الفسق و خوارم المروءة) على ما حرر في باب الشهادات من كتب الفقه و تخالفها في عدم اشتراط الحرية و الذكورة ، قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) (الحجرات :٦) و قال (وأشهدوا ذوي عدل منكم) (الطلاق :٢) [١]

أقوال العلماء في حكم التائب من الكذب

فرق العلماء بين التوبة من الكذب في الحديث و التوبة من الكاذب في الأحاديث

قال الإمام النووي : تقبل رواية التائب من الفسق ، إلا الكذب في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلا تقبل أبدا و إن حسنت طريقته ، كذا قال : أحمد بن حنبل ، و الحميدي

(١) (تدريب الراوي ص٢١٢)

شيخ البخاري ، و الصيرفي الشافعي قال الصيرفي: كل من أسقطنا خبره بكذب لم نعد لقبوله بتوبة ، ومن ضعفناه لم نقوه بعد ، بخلاف الشهادة '

وقال السمعاني : من كذب في خبر واحد ' و جب إسقاط ما تقدم من حديثه .

قال السيوطي :قال المصنف: و يجوز أن يوجه بأن ذلك جعل تغليطا عليه و زجرا بليغا عن الكذب عليه صلى الله عليه وسلم لعظم مفسدته ، فإنه يصير شرعا مستمرا إلى يوم القيامة ، بخلاف الكذب على غيره والشهادة ، فإنه مفسدتها قاصرة ليست عامة .(١)

الكذب سبب رد الحديث و الضعف الشديد

و من أمثلته (الحديث المتروك و الحديث الموضوع) قال النووي عن الموضوع : هو المختلق المصنوع وشر الضعيف ، وتحرم روايته مع العلم به في أي معنى كان ، إلا مبينا . قال السيوطي شارحا : هو الكذب (المختلق المصنوع) و هو شر الضعيف و أقبحه (و تحرم روايته مع العلم به) أي بوضعه (في أي معنى كان) سواء الأحكام و القصص ، و الترغيب و غيرها (إلا مبينا) أي مقرونا ببيان وضعه ، لحديث مسلم"من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين (٢)

المطلب الثالث : بيان مباحث الدراية التي قام بنيانها على قيمة الموضوعية

بلغ علماء الجرح و التعديل مبلغا كبيرا في الحيدة و الإنصاف و الموضوعية مع القريب و البعيد و الموافق و المخالف وظهرت الموضوعية بوضوح في الحكم على الرجال ففرقوا بين الرواة و أعطوا كل شخص حقه وظهر هذا جليا في أنواع أبواب من علم الحديث دراية (كالحديث المدلس ، و الشاذ، و من خلط من الرواة الثقات ' و المتروك و الموضوع و معرفة الثقات و الضعفاء) فالراوي **المدلس** غير تدليس التسوية ارتكب أمرا غير مرغوب فيه بإيهامه

(١) تدريب الراوي ص ٢٣٤ ، ٢٣٥

(٢) تدريب الراوي ص ١٤٩ النوع الحادي و العشرون : الموضوع

شيء غير الواقع فتوقفوا في روايته إذا عنعن وضعفوها حتى يصرح بالتحديث و لم يسووا بينه وبين الكاذب لأن هذا إخفاء و ليس كذبا .

و **الشاذ**: هي رواية ثقة ضعيفة لمخالفته الروايات المحفوظة من الأوثق و مع ذلك حفظوا له توثيقه و لم يعدوه ضعيفا بسبب هذه المخالفة و اعتبروها استثناء يحفظ ولا يقاس عليه .

و بالنسبة **لمن خلط من الثقات** راعوا جهده و جهاده في خدمة العلم ، وأيضا لم يغضوا الطرف عن مرحلة التغير و عدم ضبط المعلومات لأن هذا دين لا مجاملة فيه .

وبالنسبة **للمتروك** و **الموضوع** كلاهما من أنواع الضعيف ضعفا شديدا لكن علماء الحديث فرقوا بينهما حيث فرقوا بين من يكذب على الناس و هو الراوي المتروك ، و بين من يكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم وهو الر اوي الوضاع وحديثه موضوع .

قال الإمام الناقد علي بن المديني رحمه الله تعالى " التفقه في معاني الحديث نصف العلم ، و معرفة الرجال نصف العلم" (١)

و أشار الى إنصاف المحدثين في علم الجرح و التعديل د/ خلدون الأحدب قال:

و قد قام علماء الجرح والتعديل بنقد كل راو صدر منه خطأ أو ضعف ، او تخليط و أو اضطراب ، أو تزويد ، أو سهو أو نسيان ، سواء كان ذلك الراوي لهم أبا أو أخا أو ابنا أو قريبا أو صديقا ، لا يمنعهم في ذلك شجنه رحم ولا غيرها .

فكان ذلك عنوان صدق ديانتهم و نزاهتهم و أمانتهم ، وعنوان غلاء الحفاظ على السنة لديهم ، وانها عندهم أغلى من الآباء و الأجداد و الأولاد و الأحفاد ، فكانوا بحق مضرب المثل في هذا ، وليسوا بالمعصومين ، ولكن كان الغالب عليهم أهل الصدق و التقوى.

(١) رواه عنه الإمام الراهمرمزي – الحسن بن عبد الرحمان (٣٦٠) هـ في كتابه << المحدث الفاصل بين الراوي و الواعي >> ص٣٦٠ – (نقلا عن كتاب أثر علم أصول الحديث ص٥٠)

فكان علي بن المديني إذا سئل عن والده ، قال : سلوا عنه غيري ، فأعادوا عليه فقال: هو الدين ،إنه ضعيف .

وكان وكيع بن الجراح لكون والده على بيت المال : يقرن معه غيره إذا روي عنه .

وقال أبو داود السجستاني صاحب السنن : ابني عبد الله كذاب وقال زيد بن أبي أنيسة: لا تأخذوا عن أخي – يعني : يحيى المذكور بالكذب .[1]

رواية المحدثين عن المخالفين لهم المتلبسين ببعض البدع إذا توافر فيهم العدالة و الضبط

حقق التواصل بين المذاهب الإسلامية المختلفة ، و حفظ السنة ، وكان مجالا واضحا للحيدة و الإنصاف قال العلامة الشيخ جمال الدين القاسمي رحمه الله تعالى ت(١٣٣٢) هـ في رسالته (الجرح والتعديل)ص٥،٦ كان من أعظم من صدع بالرواية عنهم _أي عن المبدعين الإمام البخاري رضى الله عنه وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء ،

فخرج عن كل عالم صدوق ثبت من أي فرقة كان، حتى ولو كان داعية وملأ مسلم (صحيحه)من الرواة الشيعة فكان الشيخان عليهما الرحمة والرضوان بعملهما هذا قدوة الإنصاف، وأسوة الحق الذى يجب الجري عليه لأن مجتهدي كل فرقة من فرق الإسلام مأجورون أصابوا أو أخطأوا بنص الحديث النبوي .

(١) أثر علم أصول الحديث في تشكيل العقل المسلم ص٥١٦٥٠ (١) – نقلا عن كتاب (لمحات من تاريخ السنة وعلوم الحديث) للعلامة الشيخ عبد الفتاح ابو غده رحمه الله تعالى ص١٦٠-١٦١ بتصرف – (و فيه أخبار اخرى)و للتوسع في هذا الجانب كتاب د/ فاروق حمادة

(التواصل بين المذاهب الإسلامية تأصيله وتطبيق عند المحدثين ص١٠١ -١٢٨)٠الجرح و التعديل) للشيخ جمال القاسم

يصف الدكتور خلدون الأحدب قائلا :

علماء الحديث لم يقفوا عند علم الجرح والتعديل الذى يهتم بأحوال الرواة من حيث الحكم عليهم بالقبول والرد ،ووصفهم بأوصاف الثقات العدول أو المجروحين والمتروكين، إذ إن مهمة (علم الجرح والتعديل)كما علمت الخلوص إلى حكم عام على كل راو من رواة الحديث ،بل تجاوزوا ذلك إلى البحث التفصيلي في أحوال الثقة وروايته لأن الثقة لا يكون على وتيرة واحدة في كل أحيانه و رواياته ، (١)

ثم ذكر تحت عنوان (علم علل الحديث)تعريفه – ومضمونه ، وأهميته

فقال: و الحديث المعل(أو المعلول) :" خبر ظاهرة السلامة اطلع فيه بعد التفتيش على قادح"

فتح المغيث للسخاوي ٢/ ٥٠ ..

.ثم قال لقد تنبه علماء الحديث إلى أن الراوي الثقة _ وهو الضابط ، قد يقع منه الخطأ والوهم ، فيدرج في متن الحديث ما ليس منه أو يقلب في متون بعض الأحاديث و أسانيدها ، وقد ينسى ، وقد يقع منه تخليط في شيخوخته و بداية هرمه ، وقد يكون ممارسا متقنا لأحاديث شيوخه إلا واحدا منهم لم يتمكن من إتقانه وممارسته ،... الخ فمن كان شأنه كذلك فإنه يتوقى من حديثه ما وقع فيه الخطأ و الوهم_ و يبقى على أصل الثقة _ ما لم يكثر خطؤه كوهمه و يوضع في مرتبة القبول التي يستحقها

فعلم العلل إذن هو (علم متابعة الثقات و رواياتهم) لأن أمر المجروحين و المتروكين و الضعفاء كثير على النقاد يقول الإمام الحاكم النيسابوري أبو عبد الله محمد بن عبد الله / ٤٠٥ في كتابه (معرفة علوم الحديث ص ١١٢) (وإنما يعلل الحديث من أوجه ليس للجرح فيها

(١) مرجع أثر علم أصول الحديث ص٥٣ ، ٥٤

مدخل ، فإن حديث المجروح ساقط واه) و الكشف عن هذا الضرب ليس بالصعب ، و إنما الدقة و الجهد و الفهم في تتبع الثقات كما يقول الإمام الحاكم (١)

من مباحث الموضوعية في الدراية التدليس

قال النووي : التدليس : وهو قسمان : الأول : تدليس الإسناد بأن يروى عمن عاصره مالم يسمعه منه ، موهما سماعه قائلا: قال فلان ، أو عن فلان و نحوه ،،

الثاني :تدليس الشيوخ، بأن يسمى شيخه أو يكنيه ،أو ينسبه أو يصفه بما لا يعرف ،أما الأول فمكروه جدا ذمه أكثر العلماء ثم قال فريق منهم :من عرف به صار مجروحا مردود الرواية ، وإن بين السماع والصحيح التفصيل، فما رواه بلفظ محتمل لم يبين فيه السماع فمرسل ، وما بين فيه كسمعت ،وحدثنا واخبرنا ،وشبهها فمقبول محتج به، وفى الصحيحين وغيرهما من هذا الضرب كثير كقتادة والسفيانيين، وغيرهما ،وهذا الحكم جار فيمن دلس مرة وما كان في الصحيحين وشبههما عن المدلسين بعن محمول على ثبوت السماع من جهة أخرى، وأما الثاني فكراهته أخف ،وسببها توعير طريق معرفته ،وتختلف الحال في كراهته بحسب غرضه ، لكون المغير اسمه ضعيفا أو صغيرا أو متأخر الوفاة ، أو سمع منه كثيرا ،فامتنع من تكراره علي صوره ، وتسمح الخطيب وغيره بهذا (٢)

الشاذ من مباحث الموضوعية

قال النووي : النوع الثالث عشر :الشاذ)وهو عند الشافعي وجماعة من علماء الحجاز: ما روي الثقة مخالفا لرواية الناس ،لا أن يروي ما لا يروي غيره

(١) (أثر علم أصول الحديث ص٥٤-٥٦ – معرفة علوم الحديث الحاكم ص١١٢، ١١٣

(٢)(تدريب الراوي ص ١٤٨_١٥٣

قال الخليلي: والذي عليه حفاظ الحديث : أن الشاذ ما ليس له إسناد واحد يشذ به ثقة أو غيره ، فما كان عن غير ثقة فمتروك ،وما كان عن ثقة توقف فيه ، ولا يحتج به وقال الحاكم :هو ما انفرد به ثقة وليس له أصل بمتابع.

قال السيوطي شارحا: "وهو عند الشافعي وجماعة من علماء الحجاز: ما روي الثقة مخالفا لرواية الناس لا أن يروي الثقة ما لا يروي غيره هو من تتمة كلام الشافعي.

قال الحافظ أبو يعلي الخليلي : والذي عليه حفاظ الحديث : أن الشاذ ما ليس له إلا إسناد واحد يشذ به ثقة ، أو غيره فما كان منه عن غير ثقة فمتروك لا يقبل وما كان عن ثقة توقف فيه ، ولا يحتج به) فجعل الشاذ مطلق التفرد ، لا مع اعتبار المخالفة (الإرشاد١/ ١٧٦)

وقال الحاكم : (معرفة علوم الحديث) ص ١١٩ :

هو ما انفرد به ثقة و ليس له أصل بمتابع) لذلك الثقة قال: ويغاير المعلل ،بأن ذلك وقف على علته الدالة علي جهة الوهم فيه ،والشاذ لم يوقف فيه علي علة كذلك، فجعل الشاذ تفرد الثقة فهو أخص من قول الخليلي.

قال شيخ الإسلام: و بقي من كلام الحاكم: وينقدح في نفس الناقد أنه غلط ،ولا يقدر علي إقامة الدليل علي ذلك قال : وهذا القيد لا بد معه، قال : وإنما يغاير المعلل من هذه الجهة قال : و هذا علي هذا أدق من المعلل بكثير فلا يتمكن من الحكم به إلا من ما رس الفن غاية الممارسة ، وكان في الذروة من الفهم الثاقب ، ورسوخ القدم في الصناعة.

قلت ولعسره لم يفرده أحد بالتصنيف، ومن أوضح أمثلته ما أخرجه في (المستدرك) من طريق عبيد بن غنام النخعي عن علي بن حكيم عن شريك ،عن عطاء بن السائب ،عن أبي الضحى ، عن ابن عباس قال :في كل أرض نبي كنبيكم ، وآدم كأدم ،ونوح كنوح، وإبراهيم

كإبراهيم ، وعيسى كعيسى . وقال : صحيح الإسناد ،ولم أزل أتعجب من تصحيح الحاكم له ، حتى رأيت البيهقي قال: إسناده صحيح ولكنه شاذ بمرة . [1]

هذا ما تيسر ذكره في هذا المقام ، وهي جزء من كل عمرت به مباحث الدراية تؤكد التطابق بين النظرية والتطبيق ، وبين ما جاءت به السنة المطهرة وما جادت به قرائح العلماء مؤكدين رسوخ قيم الإسلام في حياتهم علما وعملا عقيدة وشريعة .

(١) تدريب الراوي ص١٥٥ ، ١٥٦

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات و الصلاة و السلام علي خاتم المرسلين سيدنا محمد و علي آله وصحبه و سلم و بعد ففي ختام هذه الجولة بين بعض كتب الرواية وكتب أصول الحديث توصلت إلى النتائج التالية :

١ - ظهر بوضوح الأثر التطبيقي للأخلاق والقيم الدينية المستفادة من السنن القولية والفعلية في علم أصول الحديث .

٢ – وجود ترابط مباشر بين بعض أنواع علم الحديث دراية وبين بعض القيم الإسلامية .

٣ –آداب الشيخ والسامع من علوم الحديث هي عبارة عن منظومة من الأخلاق ويظهر في بعضها إعلاء قيمة الإيثار الذي يعالج شح النفس الإنسانية وحرصها.

٤ – توقف قبول الرواية على شرط قيمي وهو عدالة الرواة والذي يعنى بالجانب الخلقي للراوي من مراعاة الشرع وعدم مخالفة العرف ؛ مما يجعل من الراوي صورة صادقة ودعوة عملية للتمسك بما رواه.

٥- محورية الصدق في قبول رواية الرواة وعدم القبول للروايات من الكاذب حتى لو تاب من كذبه عند كثير من العلماء إعلاء لقيمة الصدق التي لا يقبل من المؤمن مخالفتها.

٦ – بنيان علم الجرح والتعديل على الإنصاف ، والعدل والمساواة في الحكم على الرواة دون ميل إلى أهواء أو عصبيات قدر طاقة البشر ؛ نتج عنه منهج وقواعد عالية في الدقة .

٧ – عدم التسوية بين المدلسين من الرواة ، وجعلهم طبقات على حسب الدافع للتدليس ، والأثر المترتب عليه ، وكذلك التفريق في الوصف بين الراوي المتروك والراوي الوضاع ، وأيضا التفريق بين حالتي الثقة الذي تغير حفظه ببيان زمن السلامة وزمن التغير ،وغيرها دلائل واضحة على منهجية المحدثين الدقيقة وقمة إنصافهم .

أهم التوصيات

من خلال فكرة هذا البحث أوصي بقراءة قواعد علوم الشريعة عموما ،وعلم الحديث خصوصا قراءة متأنية مراعية للبعد الأخلاقي فيها وهو موجود بكثرة وأساس فيها، والبعد عن النظرة التجريدية المنطقية ، وإن كانت بعض المفاهيم المنطقية تراعي الغرض والفائدة كما تراعي في التعريفات تخصيص الموضوع والأفراد .

وسبب هذه التوصية راجع إلى أمر ظاهر ولكنه لظهوره لا يتم مراعاته في أغلب الأحيان؛

وهذا الأمر هو تأخر كتابة كثير من القواعد عن أصولها التطبيقية ، والتي كانت تتناقل قبل ذلك مشافهة مصحوبة بالتطبيق من خير أجيال الأمة علما وفضلا ، في علوم القرآن والحديث والفقه وغيرها من العلوم .

وفي الختام أسأل الله تعالى أن يرزقنا أجمعين التوفيق والسداد والإخلاص والقبول إنه سميع مجيب .

المصادر والمراجع

١- أثر علم أصول الحديث في تشكيل العقل المسلم د/ خلدون الأحدب – دار ابن حزم – للطباعة و النشر بيروت – لبنان ط١ ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م ص

٢- أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه – تأليف أبي عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس المكي الفاكهي المتوفي ٢٧٢ هـ تحقيق د/ عبد الملك عبد الله دهيش ط٢ ١٤١٤هـ نشر دار خضر –

٣- الاستذكار – لأبي عمر يوسف ابن عبد الله بن عبد البر المتوفي سنة ٤٣٦ هـ - تحقيق سالم محمد عطا – محمد علي معوض ط١ ١٤٢١ هـ سنة ٢٠٠٠ م نشر دار الكتب العلمية - بيروت ٧/ ٣٧

٤- الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث للحافظ ابن كثير –تحقيق الشيخ أحمد شاكر- الطبعة الثالثة – –مكتبة دار التراث - القاهرة

٥- البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث – تأليف إبراهيم بن محمد بن محمد كمال الدين ابن حمزة الحسيني الدمشقي المتوفي ١١٢٠ هـ تحقيق سيف الدين الكاتب . نشر دار الكتاب العربي – بيروت

٦- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي للحافظ جلال الدين السيوطي – اعتنى به – حسن شلبي – ماهر محمد ثملاوي -الطبعة الأولى -٢٠١٣م – مؤسسة الرسالة ناشرون

٧- الجامع الصحيح المسند صحيح البخاري / تحقيق محمد زهير ناصر – نشر دار طوق النجاة الطبعة الأولى ١٤٢٢ه

٨- الجامع الصحيح سنن الترمذي.

٩- سنن سعيد بن منصور لأبي عثمان بن سعيد بن منصور الخراساني ت ٢٢٧ هـــــ - دراسة و تحقيق د/ سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد ط ١ ١٤١٧ هـــــ - ١٩٩٧ م نشر / دار الصميعي للنشر و التوزيع.

١٠- شرح موطأ مالك بن أنس للشيخ عبد الكريم بن عبد الله الخضير – دروس مفرغة من موقع الشيخ بتصرف–

١١- شعب الإيمان لأبي بكر أحمد بن الحسن البيهقي ت د / عبد العلى عبد الحميد ط١ ١٤٢٣هـــــ - ٢٠٠٣ م نشر مكتبة الرشد بالرياض

١٢- صحيح مسلم / تحقيق الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي نشر دار إحياء التراث العربي – بيروت

١٣- القيم الإسلامية و دورها في تقديم الحلول للمشكلات البيئية العالمية سماحة الشيخ العلامة أحمد بن حمد الخليلي المفتي العام لسلطنة عمان ص٨٧،٨٨ بحث مقدم إلى المؤتمر العام الخامس عشر بأكاديمية آل البيت الملكية سبتمبر ٢٠١٠ م (البيئة في الإسلام)

١٤- كتاب الأربعين في إرشاد السائرين إلى منازل المتقين أو الأربعين الطائية – لمحمد بن محمد بن علي أبو الفتوح الطائي المتوفي ٥٥٥هـــ تحقيق د/ عبد الستار أبو غده ط ١ ١٤٢٠ هـــ / ١٩٩٩ م نشر دار البشائر الإسلامية

١٥- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج لأبي زكريا محي الدين النووي ط٢ ١٣٩٢ هـ نشر دار إحياء التراث – بيروت ١٥/ ١٣٤ ، ١٣٥

١٦- موطأ الإمام مالك بن أنس برواية أبي مصعب الزهري تحقيق د/ بشار عواد معروف – محمود خليل –نشر مؤسسة الرسالة سنة ١٤١٢ هـــــ ٢/ ٢٧٧ رقم ٢٣٩٨

١٧- موطأ مالك – تحقيق الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي نشر دار إحياء التراث العربي بيروت – عام ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٥

١٨- ميزان العمل – تأليف الإمام الهمام حجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي المتوفي سنة ٥٠٥ هـ مكتبة و مطبعة محمد علي صبيح و أولاده بميدان الأزهر.

١٩- نزهة المتقيين شرح رياض الصالحين د / مصطفى سعيد – د / مصطفى المغا وآخرون –مؤسسة الرسالة – بيروت.